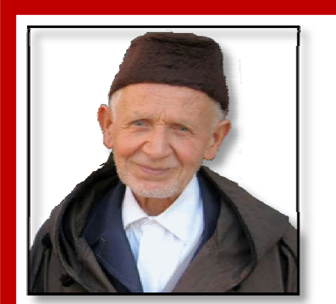




خطب من ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجــزء الأوّل

7. أسباب الازدياد
من أنواع الكمالات البشريّة

27 رمضان 1379هـ الموافق لـ 25 مارس 1960م

الحمد لله الّذي هدانا إلى دينه وكتابه، ووفّقنا إلى القيام بتأدية شعائره، وأصبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ} سبأ: 2، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله الّذي أنقذنا من الشّرك والضّلال، وأتانا بأنواع الكمالات الّتي تعلو بنا إلى خير مقام، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الأطهار، والقادة المخلصين الأخيار.

أمّا بعد: فإنّ من التّوفيق الإلهيّ أن هدانا إلى القيام بهذا الواجب المقدّس وأعاننا على إتمامه، وأفاض فيه علينا من خير إحسان وإنعام، وتلك لعمري إنّها لحياة عظيمة تعلو بالعقل إلى أرقى قمّته، وتسمو بالرّوح إلى أعلى درجات من مراتبها، وما ذلك إلّا من النّعم الّتي خصّ الله بها عباده المؤمنين على غيرهم، ليرفع بها مستواهم الدّينيّ والخُلُقيّ، ويجعلهم من عباده المقرّبين الّذين خصّهم بالاصطفاء في الدّنيا والآخرة.

ورغم هذه الظّروف القاسية الّتي نجتازها، والأيّام العصيبة الّتي نمرّ في خلالها فإنّنا نشعر دائمًا بعزّة وكرامة، وإيمان راسخ، لا تبدّله الظّروف والأزمان، وكلّ هذا لا يزيدنا إلّا قوّةً في ديننا، وشدّةً وصلابةً في إرادتنا وعزائمنا.

ولا نأسى على من فقدنا من أصفياء وأخيار؛ لأنّ الله -جلّ جلاله- قد رفع منزلتهم، وأعلى مقامهم بجواره، وجعلهم من خيرة عباده.

ولكن إذا كنّا نحمل لـهم تلك الـمودّة الـخالصة يـجب علينا أن نجعلهم قدوة فـي حياتنا، وخير أسوة فـي سلوكنا.

وها نحن اليوم نجد أنفسنا نودّع هذا الشّهر الكريم الّذي نعمنا فـي ظلاله أيّاما قصيرة، والّذي لـم نجد فـي غيره من الشّهور والأيّام تلك الـحلاوة والصّفاوة، وهكذا نجد كلّ مسلم معتزٍّ بدينه يشعر بتلك الـحياة الـهادئة الّتي دائمًـا تنتصر فيها الرّوح علـى الـجسد، وتتغلّب فيها القوّة الـمعنويّة علـى القوة الـمـادّيّة.

فمن سار علـى الـمنهاج القويم فـي دينه وأخلاقه وتأثّر بأنواع هذا التّدريب والتّربية الـخُلُقيّة فـي هذا الشّهر ولـم يعدل عن هذا السّلوك فليعلم بأنّه دائمًـا يكون فـي ازدياد عظيم من أنواع الكمـالات البشريّة حتّى يصبح فـي درجات عالية تسمو بعقله وروحه ودينه، وينال العزّة الّتي يبدّد بها حُجُب الظّلام وأسداله، ويـخرج بعد ذلك إلـى النّور الـحيويّ الّذي يكسب به الـمكانة العليا فـي دنياه وآخرته.

وإن هو عدل عن تلك التّربية القويمة الّتي فاز بها فـي هذا الشّهر، وانقلب علـى أعقابه فليعلم أنّه يزداد دائمًـا رِجْسًا علـى رِجْسِه، وبُعْدًا مِنْ ربّه، وخزيًا وعارًا يلقاه فـي دنياه، وعذابًا ونارًا مـحرقة، وغضبًا إلـهيًّا يـجده فـي آخرته.

ولكن إذا كنّا آمنّا بربّنا إيمـانًا صحيحًا فمـا علينا إلّا أن نستقيم ونعتدل ونتوب إلـى الله من سيّئاتنا حتّى نخرج من هذا الـمأزق الضّيّق، ونستعيد ماضينا الـمجيد، ونرفع مستوانا العلميّ والدّينيّ والاجتمـاعيّ، وحتّى نستطيع بعد ذلك أن نساير قوافل الأمم فـي ميدان هذا التّسابق، ونحيا حياةً هادئةً مطمئنّة، بل حياةً إنسانيّةً بمعناها الكامل الصّحيح.